٦٠ - السيدة ليلى بنت أبي حيثمة

المهاجرة الهجرتين

اسمها ليلى، والدها أبو حيثمة بن حذيفة، هاجرت الهجرتين إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، وصلَّت إلى القبلتين، تزوَّجها عامر بن ربيعة وذهبا معاً إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وأخوها سليمان بن أبي حيثمة.

وها هي ذي ليلى تحدِّث عما جرى بينها وبين عمر بن الخطَّاب قبل خروجها إلى الحبشة بقليل، تقول: كان عمر بن الخطاب - قبل إسلامه - من أشدِّ الناس علينا في إسلامنا، فلمَّا تهيَّأنا للخروج إلى أرض الحبشة جاءني عمر وأنا على بعيري، فقال: إلى أين يا أم عبد الله؟، فقلت: آذيتمونا في ديننا فنذهب في أرض الله، حيث لا نُؤْذَى في عبادة الله! فقال عمر: صحبكم الله بالسلامة، ولم يتعرَّضْني بسوء، وبدا لي أنه رقَّ لنا، فجاءني زوجي عامر بن ربيعة، فقال لما أخبرته بخبره: ترجين أن يُسلم؟ فقلت: نعم، والله أرجو ذلك فقال: والله لا يُسلم حتى يُسلم حمار الخطاب.

وهكذا تفرَّست بنت أبي حيثمة، ولم يمضِ طويل وقتٍ حتى صدَّق الله فراستها، وحقَّق رجاءها، وهدى عمر بن الخطاب إلى الإسلام، فعزَّ به دين الله أيَّما إعزاز.

وكان عود الإسلام قد اشتدَّ بإسلام عم رسول الله ﷺ حمزة بن عبد المطلب ﷺ، فلما أسلم عمر بن الخطاب ﷺ باتت صلاة المسلمين علانية، بعد أن كانوا يصلُّون خِفْيَةً عن أعين قريش ورقبائها، وكانت هجرة عمر إلى المدينة جهاراً، فقد جاء إلى نادي قريش وتحدَّى زعماءها، وهدَّدهم أقوى تهديد إذا حاولوا اعتراض سبيله، ولم يجرؤ على منعه أو التصَّدِّي له أحد.

وانطلقت أم عبد الله مع زوجها عامر بن ربيعة وابنهما عبد الله إلى الحبشة ليعبدوا ربهم في أمانٍ، وما كان أشدَّ فرحتهم بإسلام النجاشي وطرده وفد قريش الذي جاء ليستردَّ المهاجرين ويعود بهم إلى قريش حتى تجدَّد تعذيبهم وإيذاءهم!!.

ولما عاد المهاجرون من الحبشة إلى مكة علموا أن رسول الله ﷺ قد هاجر إلى المدينة فتبعوه.

أنوار الأدب النبوي تصيبهم

وهناك في المدينة كان ﷺ يزورهم بين الحين والآخر، وها هو ذا عبد الله بن عامر يحدِّثنا عن إحدى تلك الزيارات وما جرى خلالها، يقول فيما رواه أبو داود عَنْ ابْنِ عَجْلانَ أَنَّ رَجُلاً مِنْ مَوَالِي عَبْدِ الله بْنِ عَامِرِ بْنِ ربيعَة الْعَدَوِي حَدَّثَهُ عَنْ عَبْدِ الله بن عامِرٍ أَنَّهُ قَالَ: دَعَتْنِي أُمِّي يَوْماً ورَسُولُ اللهِ ﷺ قَاعِدٌ في بَيْتِنَا، فَقَالَتْ: هَا تَعَالَ أُعْطِيكَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ الله ﷺ: «**وَما أَرَدْت أَنْ تُعْطِيهِ؟**» قَالَتْ: أُعْطِيهِ تَمْراً، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ لله ﷺ: «**أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تُعْطِهِ شَيئاً كُتِبَتْ عَلَيْكِ كِذْبَةٌ**»[1].

وفي رواية أحمد عَنْ مُحَمَّد بْنِ عَجلانَ، عَنْ مَوْلًى لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ ربيعَةَ الْعَدَوِيِّ، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَامِرٍ أَنَّهُ قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ الله ﷺ في بَيْتِنَا وَأَنَا صَبِيٌّ، قَالَ: فَذَهَبْتُ أَخْرُجُ لأَلْعَبَ، فَقَالَتْ أُمِّي: «يَا عَبْدَ اللهِ، تَعَال أُعْطِكَ» فَقَال لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَمَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيَهُ؟**» قَالَتْ: أُعْطِيهِ تَمْراً، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تَفْعَلِي كُتِبَتْ عَلَيْكِ كَذْبَةٌ**»[2].

ما أحسن تعليمك يا سيدي يا رسول الله!! وما أشد تهذيبك!! ولكن ما لي أعجب وقد أدَّبك ربك فأحسن تأديبك، يا ذا الخُلُق العظيم!!.

---

(1) رواه: أبو داود/ كتاب: الأدب/ باب: في التشديد في الكذب/ برقم: (4339).

(2) رواه: أحمد/ كتاب: مسند المكيين/ باب: حديث عبد الله بن عامر/ برقم: (15147).

وظلَّت أسرة عامر وفيَّةً لعهد الله ورسوله حتى حضرهم الموت، رحمهم الله وأثابهم من فضله العميم.

obeikandl.com